المحاضرة الثالثة: التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني ١٥١٨-١٨٣٠م

مع مطلع القرن السادس عشر ترتب الكثير من التطورات والأحداث الهامة أسهمت في تغيير مجريات الواقع الجزائري إذ أصبحت الجزائر اية عثمانية وخضعت إلى تنظيمات سياسية وإدارية جديدة تفاعلت معها فئات المجتمع الجزائري .

أ- عهد البايلربايات ١٥١٨-١٥٨٧م:

بعد انضمام الجزائر للسلطة العثمانية أسند السلطان سليم الأول أمر حكم الجزائر إلى خيرالدين بربروس مانحا له لقب بايلرباي، وأسندت إليه القيادة العسكرية والمدنية وله سلطات وصلاحيات مطلقة ويكون هذا التعيين بموجب فرمان يصدر من السلطان العثماني مباشرة.

"وكلمة باي لارباي تعني أمير الأمراء" وهو عادة يكون من كبار الضباط ولاسيما ضباط البحر. خير الدين مثلا كان أميرالاً بحرياً، علج علي أيضاً، وقد حكم خلال هذه الفترة حوالي ٢٠ حاكماً . ويمثل هذا العهد ازهى فترات الحكم التركي في الجزائر والذي دام ٧٠ سنة.

وفي هذا العهد تم توطيد الحكم العثماني في الجزائر ووضع أسسه التنظيمية والإدارية الحديثة، وظهرت ككيان سياسي حديث بحدوده بعد أن وحدت بقية أجزائها بداية من تحرير صخرة البنيون عام ١٥٢٩م من طرف الجيش الجزائري وبضم تلمسان عام ١٥٥٤م والقضاء على النهائي على السلطة الزيانية، ثم تحرير بجاية في عهد الباي لرباي "صالح راييس" في عام ١٥٥٥م، وضم الجنوب الشرقي (تقرت -ورقلة) ، واتخذت الجزائر كعاصمة قارة لهذا الكيان، وترسيم حدود ثابتة خاصة من الجهة الغربية مع السلطان المغرب في سنة ١٥٥٣ ، وأصبحت تملك جيشاً قويا بريا وأسطولا بحريا مهاب الجانب ساهم في إطار الجهاد البحري من إنقاذ أعداد كبيرة من الأندلسيين الفارين من همجية الاسبان.

وقد عرف عن حكام هذه الفترة " البيلربايات" أنهم من أصول متعددة ، فمنهم الأعلاج كحسن آغا وحسن قورصو ، ومن الأتراك كمحمد باشا تكلري ، ومن العرب صالح رايس ، ومن الكراغلة كحسن بن خير الدين ، وعرف عن معظمهم بأنهم أقوياء واثبتوا جدارتهم في الداخل والخارج.

وفي هذا العهد لعبت الجزائر دورا كبيرا في حوض المتوسط واهم ما ميّز هذه المرحلة على الصعيد العسكري بعد تحرير حصن البنيون ١٥٢٩ ، اذ تمكن في عام ١٥٤١م من التصدي لحملة شارلكان الذي جاء بجنرالات عظماء شاركوا في حرب المكسيك وإبادة الهنود الحمر، كما رافقه أبرع الضباط وأحدث الأسلحة في ذلك الوقت، وحملة قوامها أكثر من ٣٦ ألف مقاتل منهم ٢٤ ألف جندي ، و١٢ ألف بحار، ولما بلغ خبر الحملة لـ حسن آغا تولى تحصين المدينة ببناء أسوار جديدة ورسم المهدمة وجهاز المدافع ، ولما وصل الأسطول الاسباني ٢٤ اكتوبر ١٥٤١ هاجم المدينة ونتيجة صمود واستماتة الجزائريين في الدفاع عن أرضهم، وحنكة قادها حسن آغا خابت وخارت قوات الاسبان وشاعت الأخبار بهزيمة الإمبراطور وكانت كذلك حتى أنه نجا بأعجوبة من الأسر فعاد إلى بلاده عن طريق ايطاليا يجرّ ذبول الخيبة والهزيمة قائلا: "من أراد أن يفقد تاجه فليأتي إلى الجزائر".

أما في الشرق الجزائري فكان اكبر حدث هو محاولة خير الدين بربروس تحرير تونس من الإسبان وعملائهم الحفصيين عام ١٥٣٤م وقد تم له ذلك إلا أن الإمبراطور شارلكان استعادها منه عنوة سنة ١٥٣٥م عن طريق حلق الوادي.

ولكن العثمانيين أعادوا الكرة مرة ثانية عليها وقاموا بتحريرها نهائيا من طرف "علج علي" وسانان باشا عام ١٥٧٤م وبذلك يتم ضمها نهائيا إلى الخلافة العثمانية، تحكّم عن طريق الجزائر. كما استطاع العثمانيون كذلك في هذه المرحلة فتح طرابلس عام ١٥٥١م بشكل نهائي والقضاء على فرسان القديس يوحنا وضمها إلى الدولة العثمانية تحكّم عن طريق الجزائر".

و لهذا اعتبر القرن ١٦م هو العصر الذهبي للجهاد البحري حيث هيمنت البحرية الجزائرية على الحوض الغربي للمتوسط، كما عرفت بضربات القاسية للشواطئ الإسبانية والإيطالية لدافع ديني أي الانتقام لمسلمي الأندلس، وهنا يشير الكثير من المؤرخين إلى أن الشواطئ الإسبانية قد أفرغت من سكانها وساد الرعب في قلوب الإسبان، مثلا كلما نزلت بهم كارثة طبيعية يقولون أن سببها بربروس، وحتى الأمهات الإسبانيات كنَّ يُخْفَنُ أبنائهن بـ بربروشا.

خلال هذه الفترة ازدهر كيان الدولة الجزائرية من مختلف النواحي الاقتصادية والتعليمية والعمرانية وذلك بفضل التعاون وتضافر وتلاحم الجهود بين فئة رياس البحر وأبناء الجزائر ودون إقصاء لأحد ، و لعب مهاجرو الأندلس دورا كبيرا في نقل كثير من المظاهر الحضارية التي عاشوها في الأندلس إلى الجزائر.

ومن أهم البيلربايات الذين كان لهم دور كبير في تحقيق الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة الجزائرية الحديثة والتي امتد نفوذها إلى مختلف الجهات الشرقية والغربية ، مثل صالح رابيس ١٥٥١-١٥٥٦ الذي وسع مجال سلطته إلى تقرت ونواحيها واستعادة مدينة بجاية ١٥٥٥ من الاسبان.

وبوفاة علج علي سنة ١٥٨٧ رأت الدولة العثمانية بان الوقت قد حان لإدخال الولايات الثلاث في شمال افريقيا في إطار التنظيمات العثمانية العادية ، فألغت بايلربايات الجزائر وحولت الولايات الثلاث إلى نيبات يديرها باشا يعين لمدة ثلاث سنوات .

ب/- عهد الباشاوات ١٥٨٧-١٦٥٩ : شعر الباب العالي بتحركات البايلربايات بعدما حاولوا الحد من سلطة الانكشارية والاستعاضة عنهم بفرق جيش محلية وخافوا أن يتحول حكمهم المطلق إلى دولة مستقلة عن الدولة العثمانية كما لمست ضعف الارتباط بينها وبين ولايتها على الجزائر في أواخر هذا العهد (الباي لاربايات) ولو حظ أيضا أن شخصية الـ علج علي كادت أن تغطي حتى على شخصية السلطان نظرا لطموحاته وتصرفاته المتحررة ، ولكل هذه الأسباب مجتمعة قرر السلطان العثماني مراد الثالث

(١٥٧٤_١٥٩٤) تغيير نظام الحكم ولقب الحاكم بالجزائر الذي أصبح يلقب بالباشا وحددوا فترة حكمه بثلاث سنوات. والباشا هو أعلى لقب موجود في الدولة العثمانية، وهو تشريفي ورسمي لا يحمله إلا أصحاب الطبقة العالية .

أصبحت الجزائر منذ هذا النظام اىالة عثمانية عادية ويتولى شؤونها أحد موظفي الدولة يدعى باشا يعين لمدة ثلاث سنوات، هؤلاء الباشوات القادمون إلى الجزائر لم يكن لهم أي سند أو أساس محلي بين القوى التي كانت تسيطر على الأوضاع في الجزائر (الطائفة والانكشارية) ، فكان مهمهم الوحيد مصالحهم وجمع الأموال من أجل تعويض ما صرفوه في شراء مناصبهم (اللزمة) أو للبقاء فيها ،دون مراعاة لمصالح البلاد وهو ما خلق الانفصال بينهم وبين الرعية . وكان دالي أحمد أول من حمل اسم الباشا في الجزائر الذي توفي في الحرب في ليبيا عام ١٥٨٩ ، وقد تداول على هذا المنصب حوالي ٣٠ باشا فمنهم الصالح ومنهم الطالح . وقد وجد الحكام العثمانيون أن هذا النظام أنسب لهم، حيث قسموا شمال إفريقيا إلى ثلاث باشويات "الجزائر، تونس، طرابلس".

لقد أسهمت الظروف التي كانت تعيشها الدولة العثمانية ذاتها خلال هذه الفترة كحروبها في أوروبا والحروب البحرية في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى المشاكل في البلاد العربية، في انعكاسها أيضا على فترة حكم الباشوات التي كانت مليئة بالاضطرابات فقد تدخل في شؤونهم الأوجاق وأصبح الديوان المؤلف من رؤساء الجند يشاركونهم السلطة ، واتحد الكراغلة مع طائفة الرياس ليزاحموا الأوجاق في الحكم سنة ١٦٢٩ لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، وفي أواخر عهدهم كثرت الاضطرابات التي كان الأوجاق يقودونها بسبب تأخر دفع جرياتهم (رواتب) وهو ما ساعد الآغوات وهم رؤساء الجند في الأخير على الاستيلاء على الحكم .

تميّز عهد الباشوات بالتضعف والاضطرابات والفتور خلاف العهد الأول والسبب في

ذلك يعود إلى مايلي:

- شخصية الباشوات الذين يعينون لمدة ثلاث سنوات يبحثون فيها على مصالحهم الشخصية فقط.
- البعد الجغرافي عن الباب العالي.
- الثورات الداخلية في عهدهم بالجزائر "شرقها وغربها".
- الثورة حتى بين الاقلية التركية مثل الكراغلة وهم جزائريون من جهة أمهاتهم وأتراكا من جهة آبائهم "ثورة الكراغلة على آبائهم عام ١٥٩٦، الذي استغلهم خضر باشا للتخلص من الانكشارية ، وثورة ١٦٣٠ وهي أهم ثورة كانت ضد الجيش الذي رفض لهم الدخول في الإدارة كما رفض لهم التمتع بأي امتياز من الامتيازات، وبذلك ظهر الصراع بين الأتراك والكراغلة الذين هضمت حقوقهم على حدّ قول بعض المؤرخين آنذاك. هذا وقبل قيام الثورتين السابقة الذكر قامت ثورة لهم كذلك عام ١٦٣٣م في العاصمة فجروا فيها دار الذخيرة وقد ذهب ضحيتها ٦٠٠ كرغلي واعدم بعضهم وفر الآخرين إلى مناطق زواوة .
- "قصر مدة حكمهم فقليل منهم أنهاها فأغلبهم عزل أو سجن من قبل فئة الأوجاق.
- تطور وتوسيع في أعضاء الديوان بعدما كان محصورا فقط الحاكم والضباط السامون وبعض أعيان البلاد، بأن أصبح يتفرع الى عدة دواوين ،منها الديوان الصغير (الخاص) الذي يتألف من الباشا، الآغا ، الكاتب العام ، الضباط السامون، المفتي الحنفي والقاضي الحنفي ،اما الديوان الكبير (العام) فيضم الضباط الكبار،الموظفون السامون، الرياس ، وعدد من العلماء والأعيان، إضافة إلى ديوان رياس البحر وديوان الانكشارية .
- الصراع الداخلي بين بني عباس والأتراك، وتعرض الجزائر لحملة صليبية إسبانية رابعة على عهد "الباشا سليمان" سنة ١٦٠١م. واشتداد التنافس بين فرنسا وبريطانيا وهولندا من أجل الحصول على امتيازات استثمار المرجان عبر السواحل الجزائرية وحق إقامة المحارس العسكرية لحماية سفنهم التجارية.
- إجلاء الأندلسيين من شبه الجزيرة الايبيرية سنة ١٦٠٩ بعد الطرد الأخير الذي طبقه الاسبان على من بقي منهم ، وقد قدر عدد هؤلاء بأكثر من ثلاثمائة ألف ، فقام الباشوات باستقبالهم ودمجهم في مختلف المدن الجزائرية.

- انتشار وباء الطاعون الفتاك عام ١٦٥٤ استمر مدة ثلاث سنوات ذهب ضحيته حسب بعض المصادر ما يقارب ١٠ آلاف أسير مسيحي ونحو ثلث سكان المدينة. انعكس على تباطؤ الأنشطة الاقتصادية سبب موت عدد كبير من التجار والحرفيين أو فرارهم مع الأرياف خوفا من إصابتهم بالعدوى.

- فشل العثمانيين في حصار مدينة وهران عام ١٦٥٥ الذي عده الاسبانيون انتصارا لهم ما فتح الباب إلى تكثيف الإغارات على الثغور المجاورة للمدينة ومن جهة أخرى نجاح البنادقة في القضاء على الكثير من السفن الجزائرية ماي ١٦٥٧ وغنموا خلالها الكثير من الأموال التي كانت محملة عليها والتي كان السلطان قد أرسلها للرياس لقاء مشاركتهم في إحدى الحملات.

ونظرا لتعدد المشاكل والفوضى وعدم قدرة الباشاوات على فرض الأمن والاستقرار نظرا لعدم الكفاءة وحسن التسيير مما سهل بالأوجاق إلى إنهاء الحكم الفعلي للباشاوات.

ج- عهد الآغوات ١٦٥٩-١٦٧١:

في نهاية عهد الباشاوات عرفت الأزمة المالية تطورا جديدا وخاصة حينما فر حاكم الباستيون توماس بيكه thomas piquet والذي تراكمت الديون والإتاوات المستحقة عليه لسوء إدارته حيث بلغت حوالي ٣٠٠ ألف ريال ، وأثناء فراره أخذ معه حوالي ٨٠ جزائريا عنوة وقام ببيعهم هناك تعويضا لخسائره.

وخلال العجز المالي هذا بذل إبراهيم باشا جهودا لجمع الأموال بطرق ملتوية عبر ابتزاز أغنياء المدينة وفرض غرامات إضافية على التجار والحرفيين وكل من يمكنهم الدفع غير أنه لم يفلح في مسعاه واشتد غضب الانكشارية على إبراهيم باشا الذي عجز كليا عن دفع مستحقاتهم ، فلم يمهله بل قاموا برمييه في السجن في جوان ١٦٥٩ ، صادف ذلك قدوم والي جديد "علي باشا " المعين من طرف الباب العالي ، يحمل معه فرمان يأمر فيه الجزائريين بتجهيز عمارة بحرية وإرسالها إلى المشرق للمشاركة في الحرب مع الدولة العثمانية.

ولكن الظرف الذي جاء فيه كانت الانكشارية في حال هيجان كبير ، لذا قرر الديوان إلقاء القبض على الوالي الجديد وإرساله إلى أزمير . كما تقرر لسوء الوضع إلغاء صلاحيات واختصاصات الوالي المالية المتمثلة في دفع الرواتب وكذا الجباية والنفقات العامة.

ويذكر ابن المفتي حول ذلك : "عندما كانوا مكلفين به كانوا يستغلون الأموال التي تحمل إلى القصر من مختلف الجهات دون تحفظ وفي ذلك الوقت كانوا يتتبعون في السلطة على فترات متقاربة ، وكان سكان الجزائر ضحايا جشعهم حتى أنهم أحيانا فرضوا على العلماء وعدول المحكمة دفع مبلغ معين ، فطن عسكرنا المنصور بعون الله لذلك وقرروا نزع دفع الراتب من الباشوات وكذا جباية الضرائب وتسديد النفقات وذلك بصفة تامة.. ، وأبقى الباشا على رأس حكومة المدينة ومقاطعتها .

وبعد ذلك، تمكن أفراد الجيش على الحكم وعينوا خليل بلكباشي على رأس السلطة في الايالة وهو أحد ابرز أعضاء الديوان وأكثرهم نفوذا وهو من حرك الانقلاب ضد نظام الولاية وقد أسندت إليه المهمة في جويلية ١٦٥٩ رسميا. وعين على الديوان هيئة ذات سلطات استشارية وتنفيذية مكونة من ٢٤ آغا معزول ، ويبدو أن هذه الهيئة قد حلت محل الديوان الخاص وهذه الهيئة تخضع لرقابة الديوان العام ، وهو ما يعني ان الحكم الفعلي أصبح في يد الآغوات بينما بقي الباشا سوريا أو شكليا فقط حتى أزيح نهائيا.

استهل خليل آغا حكمه بتدبير شؤون جمع الإيرادات المالية للدولة ، وتوفير موارد إضافية للخرينة حيث قام بإلغاء جميع الغرامات المجحفة وخفض نسبة التعريفات الجمركية بهدف تفعيل حركة التجارة كما اهتم بعملية الجباية والمتابعة الصارمة على الملتزمين وعزل الشكوك في نزاهتهم ماخرين من صف الآغوات المعزولين وقد تمكن من دفع رواتب الجند في وقتها مما أدى لاحترام الانكشارية له .

أرسل خليل آغا وفدا إلى اسطنبول محملا بالهدايا يطلب إرسال والي جديد إلى الجزائر ولكن الوفد رفض استقباله من طرف الصدر الأعظم محمد باشا كولي وأرسل هذا

الأخير فرمانا شديد اللهجة إلى الجزائر جاء فيه : " لن نرسل إليكم واليا بايعوا من تريدون ، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر ، إذا اقتربتم من الممالك العثمانية فلن تكونوا راضين... " كما أرسل الصدر الأعظم فرمانا إلى الموائى العثمانية وإلى والي مصر وشريف مكة يطلب منهما منع الجزائريين من الذهاب الى الحج وعدم بيع السلاح لهم.

وخلال هذا الوضع والموقف الحرج اتفق الديوان والآغا على إخراج إبراهيم باشا من السجن وأعادوه إلى منصبه بشرط أن لا يتدخل في أمور السياسة مطلقا.

وفي الجهة الشرقية من البلاد شهدت عود الاضطرابات بحجة رافضة دفع الضرائب بحجة أن تخريب الباستيون من طرف توماس بيكه قد حرم تجار المنطقة من المداخل التي كانت تجنيها من التجارة مع الفرنسيين ، كما تمكن أمير كوكو احمد بوختوش من توسيع نطاق نفوذه فيما بين بجاية وأعالي سباو إلا أن الأتراك حدوا من طموحاته بالاعتماد على زعيم قبيلة فشتالة الشيخ قاسم بن محمد. وتم تمديد الثقة من طرف الديوان في خليل آغا لمدة عام آخر ولكنه تعرض للامتنال في أكتوبر ١٦٦٠.

رمضان بلكباشي :

أسندت الآغوية إلى ابن عم خليل آغا وهو رمضان بلكباشي "يورك رمضان " بادر هذا الأخير بتوزيع الهدايا والعطايا على الجند الانكشارية . وفي عهده تعاظم نفوذ الآغوات المعزولين من أعضاء مجلسه الذين تقاسموا معظم المناصب العليا في الدولة ، كما شهدت في عهده التنظيمات الإدارية تتشكل بكيفية التي ستكون عليها في عهد الدايات .

وأصبح يعقد اجتماعاته في وسط البادستان (وهي السوق الذي تباع فيه الغنائم) عاود رمضان آغا طلب ود السلطان أن أرسل وفدا أواخر عام ١٦٦١ وقد حظي الوفد بالاستقبال واشتكوا وضع البلاد وما آلت إليه قائلين : " لو أرسلت لنا كلبا لقبلائه باشا علينا " ورغم ذلك بقي الصدر الأعظم مصرا على الرفض .

في عام ١٦٦١ بدأ جفاف شديد يضرب البلاد دام سنتين اتى على قسم كبير من المحاصيل والمواشي وانتشار الجائحة المروعة ، وفي هذه الظروف الصعبة ثارت الانكشارية ضد بورك رمضان فقتلوه مع مقربيه وسط البادستان ١٠ سبتمبر ١٦٦١ .

شعبان آغا :

بوفاة رمضان آغا تمكن الاوضاباشة من الوصول الى العضوية في الديوان وبالأغلبية ولوحظ تراجع البلكباشية والاياباشية وبالتالي تراجعت وتقلصت صلاحيات الآغوات المعزولين الذين أصبحوا غير مرغوب فيهم للحضور في جلسات الديوان . ويعتبر شعبان آغا علجا برتغاليا وليس من الأتراك ، وفي بداية حكمه تعرض لمحاولة اغتيال مدبرة من إبراهيم باشا (الوالي) .

ويعتبر هذا الآغا انه مولع بالدماء وكان زعيما. وقد قام الآغا شعبان بعدة أعمال منها تحرير جيجل من الوجود الفرنسي عام ١٦٦٤م في عهد لويس ١٤ . حيث استولى على عدد كبير من المدفعية الفرنسية وكان لذلك أصداء كبيرة وعنيفة في العالم الأوربي الأمر الذي أدى بالملك لويس ١٤ -إلى المفاوضات مع الجزائر وحكومتها- وقد عقدت أول معاهدة عام ١٦٦٦م لإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين ألقى عليهم القبض عام ١٦٦٤م.

وبعد وفاة الصدر الأعظم وتولية ابنه فاضل احمد باشا في أكتوبر ١٦٦١ وافق السلطان على تعيين والي جديد على الجزائر وهو اسماعيل باشا القابجي في ماي ١٦٦٢ ، قد تكون سبب الرضا إلى حاجة السلطان للاستعانة بالأسطول الجزائري ضد البنادقة الذين على شأنهم في بحر إيجه.

ولإبداء حسن النية من طرف أعضاء الديوان أطلق سراح إبراهيم باشا وإرسال عمارة بحرية لدعم الأسطول العثماني عامي ١٦٦٢ و١٦٦٤ ، وخلال نفس السنوات شهدت البلاد

انتشار وباء الطاعون والمجاعة والجراد وانتشار الفوضى وعدم الأمن ساهم فيه سكان القبائل اكتوبر ١٦٦٢. وقد مات في مدينة الجزائر حوالي ٦ الاف ، وحوالي ١٠ آلاف أسير مسيحي انتهت هذه المصغبة بقتل شعبان آغا بداية عام ١٦٦٤.

علي آغا:

أسند الحكم إلى معزول آغا وكان يتمتع باحترام ونفوذ لدى الانكشارية ، فكان يتولى مقاليد الحكم بلا منازع وأوامره نافذة حسب قول ابن المفتي ، ومما أكسبه قوة وهيبة انتصاراته على الفرنسيين بجيجل خريف ١٦٦٤ ، وقد قام بإصلاحات هامة منها :

- إلغاء اختصاصات الوالي الإدارية
 - تعديل في تشكيلة الديوان الخاص حيث أصبح يتكون من أصحاب المناصب الوزارية (خزناجي، خوجة الخيل، وكيل الخرج، البيت مالي) والخوجات الأربع الكبار .ونخبة ضباط الاوجاق (آغا الانكشارية) .الكاهية
 - توزيع المناصب الإدارية في الدولة على كبراء الاوجاق الموليين له.
 - تقليص مهام أعضاء الديوان العام تدريجيا
- ولكنه لم ينعم بالاستقرار حتى تفاجأ بثورة تلمسان الكبرى ١٦٦٩ التي كانت مدعومة من الكرغلية وبتشجيع من مرابطين مغاربة وتجاوز نطاقها بادية تلمسان والمناطق المجاورة وعجز العثمانيون القضاء عليها. وكما واجهت علي آغا أوقات صعبة في أيامه الاخيرة كان سببها سياسة الليونة التي انتهجها مع فرنسا وتزايد الهجمات الانجليزية على بجاية وتخريب ميناء الجزائر وإغراق العديد من المراكب ، فكانت لكل هذه السياسات والعمليات تزايد التذمر في وسط رياس البحر فكانت السبب في إشعال فتيل الاضطرابات في الجزائر.

في سبتمبر ١٦٧١ تمكن اليولداش من قتل علي آغا ١٨ أكتوبر ١٦٧١ وقطع رأسه ولم تسلم زوجته من العذاب ، ولكنهم عجزوا للوصول إلى تعيين آغا جديد ، حيث عينوا ٦

آغوات خلال ٣ أيام ، لذا تدخل الرياس التي لم تكن راضية على سياسة الديوان فعينوا أحدهم دايا على الجزائر وهو الداوي الحاج محمد التركي .

ويصف لنا جون وولف هذا التذمر والخوف الذي كان يلاحق رياس البحر : " لقد كان الرياس مهددين تهديدا خطيرا بهذه الفوضى فقد كانوا أغنى الناس في الجماعات النافذة ، ويملكون الفيلات في ضواحي مدينة الجزائر ، والمنازل بالمدينة ، ويملكون الرقيق إضافة إلى الثروة والبضائع والدراهم".

وما يلاحظ على هذه الفترة ، أنها تعتبر اقصر فترة حكم وسادها الفوضى والاضطرابات وكثرت عملية الاغتيالات ضد الآغوات . لتنتهي هذه المرحلة عام ١٦٧١ وتبدأ مرحلة جديدة عرفت بمرحلة الدايات .

د- عهد الدايات ١٦٧١-١٨٣٠م:

الداوي في اللغة العثمانية تعني الخال إلا أن الكلمة تطورت من دلالتها الاجتماعية الى ذات دلالة عسكرية وسياسية بان أصبحت رتبة ضابط في الجيش وبعد ذلك أصبحت تعني (الداوي) الحاكم الأعلى في الجزائر.

تسلم الدايات السلطة بعد سيطرة زعماء الطائفة على الحكم وحلت محل الآغوات سنة ١٦٧١ واستمر انتخاب الدايات من قبل رجال الطائفة (الديوان) الى سنة ١٦٨٩ وتداول في هذه الفترة على الحكم أربع دايات من الطائفة ، وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية وعملوا على تقليص نفوذ الديوان ، كما حاولوا تجنب أخطاء الآغوات في إقرار مبدأ عدم تحديد فترات الحكم حيث أصبح الداوي ينتخب مدى الحياة لكنه ليس له حق تعيين من يخلفه. وبعدها تؤخذ موافقة السلطان على تسميته دايا. ولذلك نجد بعض الكتب التاريخية

التي تتحدث عن هذه المرحلة وتشير إلى طبيعة الحكم في الجزائر بجمهورية الجزائر نظرا لانتخاب دايبها فقط.

وكان من شروط الترشح لمنصب الدايب أن يكون المرشح تركيا أعزبا حتى يسير شؤون البلاد على أحسن وجه، وكان باستطاعة كل عسكري تركي أن يرشح نفسه وكذلك كان بإمكان كل الوزراء أن يرشحوا أنفسهم، ولذلك نلاحظ أن الدايبات كان أغلبهم وزراء "خزنجي" أو آغوات وكان الدايبات ينتخبون من طرف العساكر أو الجنود الأتراك الأعضاء في الديوان. ولا يسمح للكراغلة والأهالي بالتصويت. وبعد انتخاب الدايب يصبح صاحب السلطة المطلقة في البلاد ، وبجانبه الباشا طيلة الفترة الممتدة ما بين ١٦٧١-١٧١١م ولكن من سنة ١٧١١م، عمل الدايبات على رفض قبول الباشاوات كتمثيين للسلطان بالجزائر رغم أن سلطة هؤلاء كانت سلطة شرفية منذ عهد الآغوات .وسار هذا الحال الى غاية ١٨٣٠م حيث أخذ الدايب وظيفة الباشا كذلك فأصبح دايبا وباشا في الوقت نفسه.

لم تدم سلطة رياس البحر في اختيار الدايب بل استعاد الأوجاق نفوذهم وأصبح الدايب ينتخب من بين ضباط الانكشارية ابتداء من سنة ١٦٨٩. ومن صلاحيات الدايب هو الذي له حق في إعلان الحرب، ويتولى عقد الاتفاقيات الدولية، واستقبال البعثات الدبلوماسية، وتمثلت الروابط مع الدول العثمانية في هذا العهد في إرسال الدايب بعض الترضيات من هدايا و أموال بشكل غير منتظم الى السلطان والدعاء له على منابر المساجد ومشاركة الجيوش الجزائرية مع الجيوش العثمانية في بعض عمالياتها الحربية. وقد اتضح ذلك من خلال اشتراك الأسطول الجزائري مع الأسطول العثماني في معركة نافرين جنوب اليونان عام ١٨٢٧م.

بلغ عدد دايبات ٢٧ دايبا خلال هذه المرحلة أولهم محمد التريكي "١٦٧١-١٦٨١م" وآخرهم حسين دايب "١٨١٨-١٨٣٠م". من هؤلاء اثنان منهم فقط نجوا من القتل واحد عزل والثاني تنازل والبقية قتلوا". حتى انهم لم يكونوا على درجة واحدة من الكفاءة والنزاهة ، فكان منهم النزيه والزاهد في متاع الدنيا المنصرف الى الأعمال الخيرية والذي صرف

من أمواله الخاصة مثل الداى محمد بن عثمان (١٧٦٦_١٧٩١)، الذي قام ببناء المساجد والحصون والقلاع وترك ما تبقى من أمواله الى خزينة الدولة، ومنهم اتصف بالعجز وعدم القدرة على تسيير شؤون الدولة كالداى علي الغسال سنة ١٨٠٨. وبعض الدايات من حكموا مدة طويلة مثل الداى محمد عثمان باشا الذي حكم ربع قرن وبعضهم الآخر حكم يوما واحدا. مدة الحكم تختلف من داي لآخر. والظاهر تاريخيا كم أسلفنا سابقا أن أغلب الدايات قتلوا.

ويعد الداى شعبان من أعظم الدايات حيث عاصر ملوكا كثيرين، كالمملك مولاي إسماعيل في المغرب الأقصى والمملك الفرنسي لويس ١٤ وملك بريطانيا فتحدى الجميع وانتصر على معظمهم كمولاي إسماعيل ولويس ١٤ إلا انه مات مقتولا من طرف المتعطشين للسلطة بعد إصداره لمرسوم ينص على معاملة الكراغلة كبقية العناصر التركية نتيجة الخطر الآتي من الشرق "تونس" ومن الغرب "المغرب". قوة الكراغلة كانت عبارة عن قوة ردع للانكشارية، ولكن بعد وفاة الداى شعبان ألغت الإنكشارية هذا المرسوم. ومن خصال هذا الداى كذلك أن الدبلوماسية الجزائرية في عهده كانت نشيطة من ذلك أنه بعث رسوله محمد الأمين إلى فرنسا من أجل إطلاق سراح الأسرى الجزائريين في مدينتي طولون ومارسيليا وقد وفق في ذلك.

وما يلاحظ في هذه المرحلة تمكن الجيش الجزائري من تصفية الوجود الإسباني نهائيا في كل من وهران والمرسى الكبير وذلك في عام ١٧٩٢ م، واستكمال الإدارة العثمانية صورتها الثابتة في الجزائر ودخول الأسطول الجزائري عصره الذهبي.